د. صلاح الدين النكدلي

ثلاث رسائل

المجموعة الأولى

- أوضاعنا السياسية والتطورات العالمية
- من وحي مأساة الخليج
- القضايا الإسلامية وحقوق الإنسان

الدار الاسلامية للاعلام

الطبعة الأولى

صفر ١٤١٤ للهجرة / آب ـ أغسطس ١٩٩٣م

حقوق الطبع محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

بون ـ ألمانيا

I.I.D · P. O. Box 120 263
41720 Viersen · Germany ألمانيا

الفهرست

الرسالة الأولى:

أوضاعنا السياسية والتطورات العالمية ٧

الرسالة الثانية:

من وحي مأساة الخليج ٢٧

الرسالة الثالثة:

القضايا الإسلامية وحقوق الإنسان ٣٩

١ ـ الحرية

٢ ـ حق الحياة

٣ ـ حق الشعوب في تقرير المصير

٤ ـ حق التخلف!

٥ ـ نتائج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على لا نبي بعده

عزيزي القاريء..

بين يديك المجموعة الأولى من سلسلة «ثلاث رسائل» تناولت فيها، بأسلوب مبسط، عدداً من القضايا التي تشغل بال الإنسان في عالمنا الإسلامي، وتترك في حياته وسلوكه آثاراً كبيرة وخطيرة.

وهذه القضايا تؤكد على ضرورة أن يتعرف المسلم على واقعه المحلي وعلاقته بالواقع العالمي. لأن المعرفة شرط أساسي من أجل تحديد الأهداف، واكتشاف الواجبات، واختيار الوسائل المناسبة. وهذه الرسائل عبارة عن مساهمة متواضعة في هذا الاتجاه..

أضرع إلى الله العلي داعياً: اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه.

والله أكبر والعاقبة للمتقين

أوضاعنا السياسية والتطورات العالمية

أستهل الكلام عن أوضاع العالم الإسلامي وعلاقتها بالتطورات العالمية ببيان أمرين:

الأول: لا يصح أن يقوم في أنفسنا نحن معشر المسلمين، أن العالم الإسلامي هو الجزء المنفعل بما يجري على مسرح السياسة الدولية، وأنه ليس قادراً على الفعل والتأثير. إذ لولا وجود أسباب القوة الكامنة في المنطقة الإسلامية لما رأينا إصرار القوى الخارجية على منع المسلمين من محاولات النهوض. **فالعالم الإسلامي قيمة كبرى في الوجود: رسالة وإنساناً وأرضاً، وينبغي أن يؤمن المسلمون بهذه الحقيقة إيماناً عقلياً وقلبياً حتى يتمكنوا من تغيير نظرتهم إلى أنفسهم ونظرتهم إلى الآخرين تغييراً جذرياً.. وإذا لم يفعلوا ذلك فإنهم سيظلون راسفين في قيود الجهل والتخلف والفقر.. وسيفرض ذلك عليهم الشعور بالدونية والهامشية والغثائية.. وهذه مقاتل الأمم والشعوب!!.**

الثاني: ينبغي أن يلغي المسلمون من عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم فكرة «العبثية» في حركة التاريخ البشري، بمعنى: إن عليهم أن يؤمنوا أن هذا الكون ـ والإنسان جزء منه ـ إنما يسير وفق «سنن» «قوانين»، وإن عليهم أن يتعرفوا إلى تلك القوانين وأن يعملوا بمقتضياتها إذا أرادوا قطف ثمارها يانعة.

وعلى المسلم أن يعلم أن هذه «السنن» ميسرة للمسلمين ولغير المسلمين؛ فإذا أخذ بها ناس غير مسلمين، وتخلى عنها المسلمون، فإن غير المسلمين يحصلون على نتائجها وينعمون بها.. بينما يحرم المسلمون من كل ذلك، والقرآن والسنة ينطقان بهذه الحقيقة ويؤكدان عليها.

إن الأمة التي تجهل كيف تتعامل مع سنن الحياة تسير رغم أنفها إلى هامش التاريخ.. وما أجملها كلمة قالها إقبال:

لحظة يا صاحبي إن تغفل

ألف ميل زاد بعد المنزل

* * *

هذا، وإن من أهم ما ينبغي أن يدركه المسلمون **أن الحوادث السياسية الحادة «الساخنة» لا تبرز إلى الوجود بطريق «المفاجأة»، بل لابـد من تلمس أسبابها وتتبع بواعثها من خلال نظرة شمولية عميقة تستوعب الماضي، وتدرك الحاضر، وتستشرف المستقبل. لأن التفسيـر السـطحي للأمـور يدفـع إلى فهم قاصر عاجز لما يجري، ويقود إلى تفاعل خاطيء مع الواقع.**

وبناء على ذلك أقول: إننا لكي نضع أيدينا على ما شاهدناه في أزمـة الخليج.. بمقدماتها ونتائجها.. فإننا مضطرون إلى إلقاء نظرة سريعـة على صورة العالم في أعقاب الحرب الكونية الثانية لكي نتعرف إلى حقيقة المتغيرات التي تدفع إلى مواقف سياسية وعسكرية:

● بعد أن سكتت أصوات أسلحة الدمار التي دوت إبان الحرب العالمية الثانية.. ظهر للعيان على المسرح الدولي أن هناك قوتين بينهمـا اختـلاف عقيدي نتـج عنـه تبـاين في النهـج السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي.. الخ. وهاتان القوتان هما:

ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ والاتحاد السوفييتي.

وهذه النتيجة لم تكن مفاجئة للعارفين.. **لماذا؟**. لأن هاتين القوتين كانتا تعملان منذ أمد على تعزيز وجودهما الدولي. وبانهزام دول المحور.. وخاصة ألمانيا واليابان.. سنحت فرصة نادرة سمحت لأمريكا والاتحاد السوفييتي بتدعيم نفوذهما وبسط سيطرتهما.. وهذا الوضع الجديد فرض على الدول الأوروبية أن تحدد مكانها ودورها في الشروط العالمية الجديدة.. **فاضطرت دول أوروبا الغربية إلى القبول بوجود أمريكي كبير وعلاقة خاصة بالعملاق الأمريكي.. وأسفر ذلك كله عن تكوين «حلف شمال الأطلسي». أما دول أوروبا الشرقية فإنها عثرت على ذاتها تسبح في فلك الاتحاد السوفييتي، وما زالت الروابط تتدعم إلى أن أبرمت معاهدات تسمح بوجود سوفييتي عسكري وسياسي واقتصادي لا يقاوم.. وأسفر ذلك كله عن تشكيل «حلف وارسو».**

● وكانت البلاد الإسلامية تعاني من أزمة «فقدان الوعي» ومن مشكلة «الاستعمار»، ومن الضعف القاتل في كل ميدان، أي لم يكن للعالم الإسلامي وزن.. وكان حاله كما قال الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأمرون وهم شهود!!

ودخلت الساحة السياسة الدولية في مرحلة «الاستقطاب» إلى إحدى القوتين.. وكانت الدول الصغيرة والفقيرة تجد نفسها منجذبة إلى أحد المعسكرين: الغربي الرأسمالي، والشرقي الاشتراكي. وزُجت بلاد كثيرة، وخاصة البلاد العربية، في صراع واحتراب بسبب الاختيار السياسي أو الاقتصادي لأنظمة الحكم فيها.

● وجاءت مرحلة «الحرب الباردة» التي اتسمت بسباق التسلح الجنوني، وتكدس في ترسانة الفريقين أسلحة الدمار.. وهذه أصبحت مشكلة سياسية وأخلاقية.. دفعت كثيراً من العقلاء إلى رفع عقيرتهم محذرين من مخاطر التمادي في سباق التسلح.

* * *

وهذا الذي ذكرته حتى الآن إنما يصف «ظاهر المسرح السياسي».. أما باطنه فإنه مختلف جداً.. فالحياة البشرية ليست راكدة.. فهي في حركة مستمرة: حركة فكرية، حركة اجتماعية،

حركـة اقتصـادية، حركـة سياسة. . . الخ، وإن مما أدركه الناس المثـل القائل: «دوام الحال من المحال»، وهذه الحقيقة بحاجة إلى شيء من البيان، وأتحدث عنها بإيجاز متناولاً ثلاثة محاور:

المحور الأول: المعسكر الغربي، ومن يسير في ركابه ويخضع لسيطرته.

المحور الثاني: المعسكر الشرقي، ومن يؤمن بفكره.

المحور الثالث: العالم الإسلامي، وأتحدث بالتخصيص عن المنطقة العربية منه.

■ ـ في أعقاب الحرب العالمية الثانية شعرت دول أوروبا الغربية أن الصراع بين القوتين قد فتح باب التدخل الأمريكي في شؤونها الـداخلية على مصراعيه. . وهذا يعني ببساطة أن أوروبا الغربية بدأت تشعر شعوراً عميقاً بأن أمريكا تحتل إرادتها. . بل إن دولة مثل فرنسا أدركت في وقت مبكر أن الجناح العسكري لحلف شمال الأطلسي إنما يمثل قوة استعمارية. . لأنه يتيح لأمريكا وجوداً قوياً مباشراً على الأرض الأوروبية. . من أجل ذلك انسحبت إبان رئاسة الجنرال ديغول من الجزء العسكري لحلف شمال الأطلسي.

وأضرب مثلاً آخر «ألمانيا»؛ فبعد الحرب العالمية الثانية قسمت ألمانيا إلى أجزاء، أهمها: **ألمانيا الشرقية**، وكانت خاضعة لسيطرة الاتحاد السوفييتي الكاملة، و**ألمانيا الغربية** التي تمتعت ببعض مزايا النظام الرأسمالي، وأدخلت في مؤسسة حلف شمال الأطلسي، وكان لعدد من الدول الأوروبية المنتصرة في الحرب ضد ألمانيا وجود كبير في الأراضي الألمانية. **ولكن** ألمانيا الاتحادية رأت في تلك الظروف أن مصلحتها تدعو إلى تطوير اقتصادها، وتمتين صناعتها، وترتيب معارفها.. وكان لها ما أرادت وإذ بها تتحول إلى عملاق اقتصادي علمي، وهذا وهبها وزناً سياسياً مرموقاً.

ثم إن ألمانيا رأت أن مستقبل الصراع يفرض أن تكون أوروبا قوية.. والتقت نظرتها بنظرة عدد من دول أوروبا.. فاجتمعوا على أن توفير قوة أوروبية مرهوبة الجانب يفرض على الجميع الالتزام بـ «**نظرية التكامل**». فولدت فكرة «السوق الأوروبية المشتركة» ثم سار الجميع في طريق التخفيف من غلواء الفكر القومي، وتوسيع دائرة الدول المشاركة في التكامل، وهم يطمحون إلى إقامة وحدة

سياسية اقتصادية تمهيداً لتكوين شخصية مميزة متعاونة تملك مصيرها بمفردها.

وأخيراً أشير إلى قصة اليابان.. فقد أرادت أمريكا ـ بموافقة سوفييتية ضمنية ـ تجريد اليابان من «القوة»، وبالفعل فقد فرضت أمريكا على اليابان شروطاً تمنعها من بناء قوة عسكرية مؤثرة.. ولكن اليابانيين شعب متحرك «والحركة ولود والسكون عاقر»، فتحرك اليابانيون نحو بناء قوة اقتصادية.. وها هي أمريكا اليوم ترهبها وتناضل من أجل تطويقها ومنعها من الفتك بالسلطان الأمريكي!!!.

نستنتج من هذا العرض الذي اعتمد الإشارة دون الدخول في تفاصيل، أن المعسكر الغربي، ومن يسير في ركابه، يعيش مرحلة تراكم القوى، وحالة من حالات الصراع.. وتخشى أمريكا من «الانفجار» وخاصة بعد تصدع المعسكر الاشتراكي.

* * *

المحور الثاني: المعسكر الإشتراكي

■ ـ بعد الحرب الكونية الثانية كان الاتحاد السوفييتي صاحب النفوذ المطلق في دول أوروبا الشرقية.

وحين دخل **حلبة سباق التسلح** لم يكن معتمداً على قاعدة صناعية قوية، ولم تكن صلته بمصادر المواد الخام متينة.. بينما كانت أوروبا، ثم أمريكا التي شاركتها في الغنائم من بعد، كانوا يتمتعون بسلطة كبرى في دول المواد الخام.. يأخذونها بأبخس الأثمان ويردونها مصنعة بأبهظ الأسعار.. وكانت دول المعسكر الغربي الرأسمالي معتمدة على قاعدة صناعية صلبة.

وبفعل هذه الأسباب، وغيرها مما له علاقة بالفكر والنهج الاقتصادي، بدأت الأحوال بالتدهور في جميع دول المعسكر الشرقي.. صحيح أن تلك الدول كانت تظهر قدراً لا بأس به من التماسك.. إلا أن هذا لم يمنعها من الإعلان عن طريق زعيم الكرملين أن النظام الاشتراكي في أزمة.. وأنه لابد من محاولة إعادة البناء قبل الانهيار الكامل..

وبهـذا الإعـلان زالت هيبـة الاتحـاد السـوفييتي في الكتلة الشرقية. . وما زالت النقمة تتفاقم إلى أن وقعت المفاجآت التي أذهلت العالم في تسارعها وعمقها. .

لهـذه الأسبـاب مجتمعة بدا الاتحاد السوفييتي أكثر ليونة في حواره مع أمريكا، وخاصة فيما يتعلق بسباق التسلح، وهذه الليونة كانت وراء ولادة «عصر الوفاق» بين القوتين العظميين.

نستنتج من هذه الإشارات **أن الدول القوية في جانب قد تركع يوماً ما وتنهار إذا أخفقت في بناء قواعد أخرى أساسية في بنيان الأمـة. . فقوة السلاح وحدها لا تكفي في الحفاظ على المكانة واستمـرار الهيمنـة. . وهذا بالضبط ما تخشاه أمريكا التي باتت تشعـر بالخطر القادم من اليابان وأوروبا بسبب القوة الاقتصادية النامية في المنطقتين. . والتي تهدد الاقتصاد الأمريكي المريض بالركود.**

وبتصدع المعسكر الشرقي كان على جميع الأطراف داخل بؤرة القرار الدولي ـ وخاصة في أوروبا ـ أن يراجعوا حساباتهم، وأن يعيدوا النظر في مستقبل الأيام.

وهنا أود أن أسجل ملاحظة أساسية في حركة التاريخ وفي حياة الشعوب بشكل خاص، وهي:

إن مراحل التغيرات والتحولات الكبرى تعطي فرصاً نادرة للتأثير والتغيير في مجرى الحياة.. وهذه الفرص لا يستطيع الإفادة منها إلا من كان مؤهلاً لمعرفتها.. وكان قادراً على اغتنامها وحسن التعامل معها.. وأضرب مثلاً «ألمانيا».. إن الشعب الألماني عانى من «التجزئة»، فلما تصدعت الكتلة الاشتراكية، لاحت لهذا الشعب فرصة الوحدة.. فاقتنصتها ألمانيا الاتحادية وتمكنت من تحقيق الوحدة بين شطري ألمانيا.. إن هذه الوحدة ما كانت لتتم لولا أن ألمانيا الاتحادية كانت قادرة على دفع ثمن هذا الاجراء الكبير.

وهذه الملاحظة تحتاج إلى تثبيتها في عقولنا ومشاعرنا نحن معشر المسلمين لئلا نخطو خطوات لم يحن وقتها ولا نملك قدرة على إتمامها.. إذ ينبغي أن نبني زمناً طويلاً في انتظار فرصة مواتية لخطوة جادة هادفة.

* * *

المحور الثالث : العالم الإسلامي ، والمثل عليه العالم العربي.

ـ باديء ذي بدء أقول : صحيح أن أمتنا كانت مصابة بـ «فقد المناعة» يوم التقت بالغرب إبان الحقبة الاستعمارية، وهذا يعني أن قابلية التأثر بالجراثيم الغازية كانت متوفرة. . وجاءت دول الغرب الاستعمارية فاستغلت هذه الفرصة التاريخية. . وقامت بضخ عوامل الضعف، والتخلف، والصراع في جسم أمتنا. . وكان من جملة ما فعلته لتحقيق ذلك :

أولاً : فرض الاستعمار في حياة المسلمين نظرته إلى الخالق وإلى الإنسان وإلى الكون والحياة. . وإذ بمعظم المسلمين يمجدون ـ شاعرين وغير شاعرين ـ قيم الغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية. . . الخ. والحق أن معظم هؤلاء المبهورين لم يتخلوا عن الإسلام بالكلية. . وهنا موطن المشكلة التي نعبر عنها بـ «تمزيق الإنسان المسلم». . إن هذا التمزق الذي يعاني منه غالبية المسلمين اليوم عمل مقصود يراد منه ضرب حركة

المسلمين ومنعهم من محاولة النهوض من جديد.

أما المتغربون من أبناء المسلمين الذين حصلوا على مكاسب بسبب الوضع الجديد في العالم الإسلامي.. فإنهم مستعدون للتصدي بقوة وقسوة لكل محاولات العودة إلى **الأصالة**. وهذا يعني ببساطة أن للغرب قواعد متقدمة داخل حصوننا، وهو على استعداد لدعم المتغربين وقت الحاجة.

ولكن الشعوب الحية لا تستسلم ولا تموت بمثل فعلة الغرب الشنيعة.. والذي حصل هو أن حركة «رفض التغريب» بدأت في أمتنا وكان الإسلام العظيم هو المحرك وهو الداعي إلى تحرير الإنسان.. وولدت الحركة الإسلامية المعاصرة لتقوم بمهمتين:

الأولى: **تحرير الأمة من عوامل الضعف الذاتي.**

الثانية: **تحرير الإنسان المسلم والأرض الإسلامية من سيطرة الجيش الغازي والفكرة الغازية.**

واستطاعت فصائل هذه الحركة أن تعيد إلى ساحة التفكير في الأمة قضية أننا مسلمون.. وأن الإسلام نظام حياة كامل شامل..

وأن مصلحة أمتنا ومصلحة البشرية المعذبة تكمن في : **- إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.**

- ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

- ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

إن هذا النهج التحريري لا يروق للغرب.. وإن إتساع نطاقه عامل من عوامل الهجمة الغربية الجديدة على أمتنا. ثم إن في أمتنا قوتين تتصارعان القوة الأصيلة والقوة الدخيلة.. وهذا الصراع لا مفر منه.. بصرف النظر عن صوره وحدته.. وعن الصواب والخطأ فيه.. وهذا يعني أن أمتنا لم تمت.. وأن الفكرة الإسلامية تتقدم وتدحر الفكرة الغربية داخل بلاد المسلمين.

ثانياً: وفرضت دول الغرب الاستعمارية «التجزئة» السياسية.. ووضعت لها فلسفة، وأوجدت لها كهاناً وعباداً.. ولم يكتف الغرب بنشر الفكر القومي المفرق.. بل جاء إلى أصحاب القومية الواحدة وزرع فيهم «الوطنية» الضيقة وإذ بهم يفترقون ويتصارعون.. ويأتي الدليل تلو الدليل على أن هذه التجزئة كانت عاملاً من عوامل

التناقض في المنطقة وسبباً من أسباب الصراع بين الأشقاء. وهذه التجزئة هيأت الأسباب النفسية والفكرية لقبول الوجود الأجنبي في أرضنا وإرادتنا.

وكانت حرب الخليج تعبيراً حاداً عن تلك التناقضات وآثارها.. ومنطلقاً جديداً لمزيد من التشرذم والارتماء في أحضان الأعداء..

ثالثاً: الاستعمار المباشر، والمثل الصارخ عليه فلسطين، وقضيتها معروفة، ولا أتوسع في شرحها، ولكني أشير هنا إلى الهزيمة النفسية التي قادت.. وستقود.. دولاً إلى محاصرة الحق الإسلامي في فلسطين. وهذه الهزيمة انضاف إليها عامل الحقد وحب الانتقام الذي سرى بين الحكام والشعوب!!.

رابعاً: الاستبداد السياسي

إن الأنظمة التي تحكم عالمنا الإسلامي أنظمة استبدادية ظالمة جاهلة.. منفصلة عن الشعوب.. وهذه الأنظمة تتبنى الفكر الدخيل.. وتفرضه بالقوة في حياة المسلمين..

وإن الغرب ليدعم بكل ما يستطيع حكومات العالم الإسلامي، ويعمل جاهداً على بقائها في السلطة، لأنها تشكل قيداً يمنع شعوب العالم الإسلامي من التحرر «الثقافي» ومن التحرر «السياسي» ومن التحرر «الاقتصادي».. أي تفرض على البلاد والعباد حالة من حالات «التبعية» القاتلة.

هذا الاستبداد السياسي ولَّد في الأمة الشعور بوجوب محاربته والتخلص منه.. وهذا ما يخشاه الغرب.

* * *

وبعد:

فإن التطورات العالمية العميقة التي وقعت داخل كل من المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي وخارجهما.. خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.. وما نتج عن تلك التطورات من آثار، وإن تطور الأوضاع السياسية والفكرية داخل بلادنا الإسلامية.. وما يتوقع منها..

كل ذلك دفع الولايات المتحدة الأمريكية.. وهي الدولة التي مازالت متفوقة في «علم المستقبليات» إلى التفكير المبكر بعمل

يمكنها من حل مشكلاتها الاقتصادية، ويساعدها في الهيمنة على القوى السياسية والاقتصادية الناشئة والمناوئة.. كأوروبا واليابان.. ويحقق لأمريكا وجوداً يعوق حركة المسلمين نحو التحرر ويمنعهم من التطلع إلى بناء مستقبل أفضل من الحاضر.

وكانت منطقة الخليج محط أنظار الساسة الأمريكيين خلال العقدين الأخيرين.. وقد بذلوا جهوداً كبيرة في التحضير لمثل ما حصل في أزمة الخليج.

وبالفعل.. فإن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت أن تحقق ـ مرحلياً ـ كثيراً من أهدافها.. بل وتمكنت من جر قوى عسكرية واقتصادية وسياسية إلى موافقتها والسير معها حفاظاً على ماء الوجه، أو دفعاً لأزمات تستغلها أمريكا.. ولئلا تمنع من مكاسب ومصالح مباشرة وغير مباشرة.

واستطاعت هذه القوة العاتية أن تحدث خللاً داخل أقطارنا.. وشروخاً في نفوس كثير من المسلمين.. وشعوراً بالمرارة والإحباط عم الحكام والمحكومين.. ودفعهم إلى التخاذل والاستسلام..

وخاصة في كبرى قضايانا «فلسطين».

هذا كله صحيح.. ولكنه يصف ظاهر الأمر على المسرح الدولي.. ويصف ظاهر الأمة الإسلامية.. ولا يصل إلى رؤية «الحركات» العالمية والمحلية الرافضة لهيمنة أمريكا على الجميع.. وهيمنة الغرب على أجزاء من العالم الإسلامي.

إن رؤيتنا لواقع أمتنا في ظروف عالمنا وعصرنا.. وما نعلمه من حقيقة إسلامنا.. كل ذلك يدعونا إلى أن نقول باطمئنان:

إن الفكرة الإسلامية ترفض «الاستعباد» وتدعو إلى «الحرية».

وإن الفكرة الإسلامية ترفض «التبعية» وتدعو إلى «الإستقلال» بكل معانيه.

وإن الفكرة الإسلامية ترفض سيطرة «الفرد» وتدعو إلى «الشورى».

وإن الفكرة الإسلامية ترفض «التجزئة» وتدعو إلى «الوحدة».

وإن الفكرة الإسلامية ترفض «الاستيلاء على الأرض الإسلامية» وتدعو إلى «تحريرها».

وإن الفكرة الإسلامية ترفض «الجور والظلم» وتدعو إلى

«العدل والانصاف».

وإن الفكرة الإسلامية ترفض «الغزوة الغربية» الظالمة وتدعو إلى «التمسك بالهوية الإسلامية» الرحيمة.

إن هذا الذي ذكرناه.. وأموراً أخرى لم نذكرها.. ليشكل كل ذلك قاعدة تولد في أمتنا رفض السيطرة والهيمنة الأمريكية والغربية.. وتدعو إلى توفير الشروط التي تحرر الأمة الإسلامية من براثن جشع أمريكا والغرب.. وإنه ما دام القرآن يتلى في أمتنا فلن تموت بإذن الله، وستحرك نصوص الإسلام العظيم القلوب المؤمنة الصادقة، وستدفع العزائم إلى عمل كريم يحقق للمسلمين وللبشر أجمعين معاني الهدى والخير والسعادة..

إن نصر الله آت لا ريب فيه، وينبغي أن يحمل كل جيل مسؤوليته في رد الظلم والعدوان عن الإنسان.. ولا يقوم بذلك إلا الذين أهّلوا أنفسهم للمشاركة الفعالة في تحقيق النصر.. أولئك الذين يخافون أن ينطبق عليهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾

أما الساحة العالمية فإنها مرشحة في قابل الأيام لعدد من

الاحتمـالات وكـل قوة فيهـا ترمي إلى تثبيت وجـودهـا الـدولي الفاعل. . وإلى الحد من هيمنة غيرها في هذه المرحلة. . وهذا التناقض قد يفرز أوضاعاً تفيد المستضعفين . . إلا أن هؤلاء لن يستفيدوا من الظروف إلا إذا كانوا قادرين على القيام بعمل حقيقي يساهم في إخراجهم من ذل الاستضعاف في الأرض. .

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

من وحي مأساة الخليج

إن أبناء هذا الجيل من المسلمين ليدركون ببساطة أن خريطة العالم الاسلامي قد رسمت بأيدي ساسة الغرب الذين كان لهم وجود قوي قاهر في بلاد المسلمين خلال القرن الماضي وفي هذا القرن الذي نشهد غروب سنواته الأخيرة.

ويدرك هذا الجيل أيضاً أن التجزئة السياسية ما كان لها أن تحصل، كما هي عليه الآن، إلا بعد أن سقط بنيان العالم الإسلامي بفعل قرون الجهل والتخلف.. فلما وصلت الشعوب الإسلامية حضيضهما التقت بالغرب الذي كان في بداية تحفُّزه وانطلاقه خارج بلاده بقوات جرارة استولت على معظم بلدان

المعمورة، وأقامت فيها أوضاعاً سياسية وفكرية وتشريعية واقتصادية.. كان من نتائجها في بلاد المسلمين:

- **تمزيق الإنسان المسلم.**
- **وتقطيع أواصر الأمة الواحدة بصورة تحمل في ثناياها عوامل الخلاف والصدام على الحدود وعلى المصالح والمكاسب.**

وتحت شعار الفكر القومي والفكر الوطني زرع الغرب، ومن سار على نهجه من أبناء المسلمين المتغربين، معاني الجاهلية القديمة والحديثة؛ فأحيوا عادات بادت، ونبشوا رموزاً اندثرت، وباسم التجديد والتحديث أُبعد الإسلام عن دوره في إعادة صياغة أمتنا صياغة مستقلة حرة حضارية معطاءة.

ونقف قليلاً عند «التجزئة السياسية» التي فُرضت على أمتنا لنقول فيها ما نراه حقاً يدعو إليه الاسلام منطلقين من بيان التصور الإسلامي للعلاقة بين المسلمين.

إن المسلم الواعي البصير يعلم:

ـ أن الاسلام قد آخى بين المؤمنين به ﴿**إنّما المؤمنون إخوة**﴾

- وأن من لوازم هذه الأخوة العمل بقول الله عز وجل: ﴿**وتَعاونُوا علىٰ البرِّ والتقوىٰ ولا تَعاوَنُوا علىٰ الإثم والعدوان**﴾

- وأن الخلاف المفضي إلى التنازع يقود إلى الضعف والإخفاق: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾.

- وأن هناك قوى شيطانية تناصب الحق العداء، وتعمل على محاصرته وإزهاقه، وأنه لمواجهتها لابد من تحقيق قوله تعالى: ﴿**إنّ الله يُحبُّ الّذينَ يُقَاتِلوُنَ في سبيلِهِ صفّاً كأنَّهم بُنيانٌ مَرْصُوص**﴾.

من روح هذا التصور الذي أوجزناه في السطور السالفة نقرر:

أولاً: إننا بمقاييس الإسلام العظيم نرفض التجزئة التي يعيشها العالم العربي وبقية بلدان العالم الاسلامي هذه الأيام.. وندعو إلى البحث عن «صور عملية» لاقامة وحدة بين المسلمين تناسب ظروف المرحلة التاريخية التي، نمر بها في هذا العصر.

ولا نعتقد أن هناك مسلماً صادقاً واعياً يجادل في إيجابيات الوحدة وسلبيات الفرقة، وهي مسألة معروفة من قديم الزمان، وقد

عبر عنها الشاعر فقال:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً

وإذا افترقن تكسرت آحادا

ونحن نشهد في عصرنا صوراً من سعي الشعوب إلى تشكيل الروابط والاتحادات التي تعود عليهم جميعاً بالنفع وتدرأ عنهم المخاطر. . والمثل القريب «الغرب» الذي سعى إلى تشكيل «الرابطة الأوروبية» أو «السوق الأوروبية المشتركة» وقصة هذه الوحدة التي تعمل دول الغرب جاهدة من أجل تحقيقها على جميع المستويات الممكنة نلخص جانبا منها في سطور ليكون لنا فيها عبرة:

● بعد الحرب العالمية الثانية أدركت دول أوروبا أنها بدأت تتخلى عن مواقعها السياسية والعسكرية والاقتصادية لتحل محلها جميعاً الولايات المتحدة الأمريكية.

● ولمست هذه الدول بعد انقسام العالم إلى معسكرين أنها في حاجة إلى القوة الأمريكية من أجل الدفاع عن نفسها ومصالحها،

فارتبطت بأمريكا سياسياً وعسكريا.

● وشعر ساسة أوروبا أن حرية بلادهم بدأت تتلاشى أمام السيطرة الأمريكية الطاغية الباغية، وأدركوا أن كل بلد على حدة لا يملك القدرة على امتلاك ما يساعده على التحرر من الحضور الأمريكي الساحق.. وكان لابد من التفكير في الخروج من الأزمة.. فكانت السوق الأوروبية الاقتصادية بداية طريق طويل سارت عليه دول أوروبا الغربية بإصرار على الرغم من التناقضات اللغوية والتاريخية، وعلى الرغم من تباين المصالح.

إن دول أوروبا الغربية تعد كبيرة متطورة متقدمة بالنسبة للبلاد الاسلامية.. ولكن أوروبا مجتمعة ما تزال تشعر بضعف كبير أمام القوة الأمريكية.. وقد رأت تلك الدول أن وحدتها هي السبيل الوحيد لتكاملها وتماسكها في ساحة لصراع.. ولقد سارت مراحل في هذا السبيل، وما يزال أمامها مراحل أخرى. ولا يخفى أن هذه الوحدة لم تكن لتخرج إلى النور لولا أنها نبعت من ضمير الشعوب الأوروبية، ومن رغبة الساسة الأوروبيين الصادقة التي سعت بهم إلى العمل على توفير الشروط الفكرية والنفسية والاجتماعية

والاقتصادية والسياسية التي تساعدهم على تكوين أوروبا الموحدة.

وانطلاقا من تعاليم الإسلام، مستفيدين من هذه التجربة البشرية الماثلة أمامنا في دول أوروبا الغربية.. فإننا ندعو إلى زرع الثقة والمحبة والشعور بوحدة الهدف ووحدة المصير بين شعوب العالم الاسلامي.. وندعو إلى إقصاء الآثار السيئة للفكر القومي والوطني.. ونناشد الجميع أن يتحملوا تكاليف هذا الهدف النبيل «الوحدة».. ونرفض الحوار بالسلاح من أجل تحقيق الوحدة بين أقطار عالمنا الاسلامي..

ثانياً: ونرفض، بموازين الإسلام العظيم، التناقضات التي أفرزتها التقسيمات السياسية بين أقطار العالم الإسلامي، وننكر أشد الانكار على الذين يريدون الحفاظ عليها أو تعميقها.. ونرى أن نظر بعض الأقطار إلى مصلحتها الذاتية وإهمال أو إهدار مصالح أقطار أخرى مجاورة ضربٌ من العدوان الذي يرقى في بعض الحالات إلى تعمُّد قتل الشعوب.. بتحطيم اقتصادها

وقـدرتهـا على تطوير إمكاناتها . . وهذا ما نراه ونلمسه في علاقة الأنظمة القائمة اليوم في دنيا المسلمين . . وأسفاه!! .

ولذلك نرفع أصواتنا داعين إلى الحوار بدلاً من الشجار بقصد درء المفاسد التي تحيق بالجميع ، وتحقيق المصالح المشتركة . . ونـرى أن لغـة السلاح ليست طريقاً موصلاً إلى حل المشكلات الناجمة عن تناقض المصالح بين بلدان العالم الإسلامي . . نعم قد تحل القوة مشكلة . . ولكنها في الحقيقة تكون بداية لسلسلة من مشكـلات أكبـر . . ونـأمـل أن لا ينخدع حكام البلاد الإسلامية بالـوصـول الصـوري إلى تحقيق هدف معين . . فيصرفهم ذلك الانتصار المحدود عن رؤية الدمار القادم . . بسبب الأحقاد .

* * *

خلاصة وبيان

● إن الإسلام يرفض التجزئة السياسية التي تفتك بفكر الإنسان المسلم ومشاعره ومصالحه. . ويدعو المسلمين إلى البحث الصادق عن صورة عملية بناءة لإقامة صرح الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي. ونحن نؤمن أن الطريق الأقوم الذي يؤدي بالمسلمين إلى الوحدة إنما هو «**تحرير الإنسان المسلم من جيوش الغزو الفكري التي تحتل مساحات شاسعة من عقله**» و«**إطلاق حريته داخل وطنه لكي يشارك في صنع حاضره وصياغة مستقبله**». ونرى أن استمرار سيطرة الأفكار الدخيلة في حياة المسلمين، وفرض حياة الذل التي كادت تصير طبعاً مكتسباً لدى شعوب العالم الإسلامي. . إنما يحمل وزرها الحكام الذين يصرون على تخدير الشعوب لكي لا تفكر في تغيير الأوضاع الآسنة. . وتشارك الشعوب نفسها في حمل وزر ما هي عليه. . . إذ يجب عليها أن تبحث عن ذاتها الضائعة، وأن تسعى إلى امتلاك حريتها وكرامتها. وما أروع البيان القرآني لمسؤولية القادة والشعوب الوارد في ختام قصة موسى

ومؤمن آل فرعون والحاكم بأمره فرعون التي وردت في سورة غافر، (٤٦ ـ ٤٨):

﴿ . . ويومَ تَقومُ السَّاعةُ أَدخِلوُا آلَ فرعونَ أَشدَّ العذابَ * وإِذْ يَتحاجُّونَ في النَّارِ فيقولُ الضُعفاءُ للّذينَ استكبروا إنّا كنّا لَكمْ تَبْعَاً فهلْ أنتُم مُغْنُونَ عنّا نَصيباً منَ النَّار * قالَ الّذينَ استكبروا إنّا كلٌ فيها إنَّ الله قدْ حَكمَ بينَ العباد﴾.

● وإن حالة الغثائية التي يعيشها العالم الاسلامي اليوم . . تدفع دوله إلى تسعير نار التناقضات والخلافات . . وتدفعهم إلى ألوان من المؤامرات والاجراءات المجرمة التي تؤدي إلى إضعاف بعضهم بعضا . . وإذا وقع الصدام بينهم لجأ كل فريق إلى القوى الخارجية لكي تمده بالسلاح وبالدعم السياسي في صراعه مع إخوانه وجيرانه . والسلاح والدعم السياسي لهما ثمن تدفعه الأنظمة الحاكمة من كرامتها وكرامة الشعوب التي تحكمها، وذلك بالعبث بأهدافها وتطلعاتها ومقدراتها!! .

والقوى العالمية، وفي مقدمتها أمريكا، ترى من حقها أن تمنع

البلاد الإسلامية من بناء قواعد اقتصادية وسياسية وعلمية يمكن أن تسهم في قابل الأيام في تحرير إنساننا وأرضنا وإرادتنا. . وتسعى هذه القوى إلى «وأد» كل إمكانية تتوفر في قطر إسلامي. . وربما توسلت بحكام تربطهم بها روابط المصلحة من أجل تحقيق ذلك. . فإن عجزوا عن القيام بدورهم استغلت القوى العالمية حوداث الخلاف بين الأقطار الإسلامية ودست نفسها في الصراع تحت شعار الدفاع عن حرية الشعوب وكرامة الإنسان والقانون الدولي!!، فينخدع كثير من أبناء الغرب بدعواها، لأن هؤلاء لا يملكون رؤية واضحة تساعدهم على إدراك الواقع كما هو. . لذلك يؤيدون سياسة حكامهم المعتدين على الانسان!.

ولسنا في معرض مناقشة تناقض ساسة الغرب في ادعاءاتهم الغيرةَ على حقوق الانسان، ومحاربةَ الأنظمة المستبدة «الديكتاتورية». فقد أصبح واضحاً لكثير من الناس أن «المصالح» هي التي تحرك هؤلاء لا «المبادىء»؛ فهم في جميع مواقفهم - وخاصة في العالم الاسلامي - يدعمون أنظمة مستبدة تحقق مصالحهم في مواجهة أنظمة أخرى لا تقل عنها استبداداً أو إهداراً

لكرامة الإنسان..

وهل نستطيع نحن معشر المسلمين أن ننسى دور الغرب وأمريكا في زرع دولة إسرائيل في قلب العالم الاسلامي «فلسطين» وتزويدها بأفتك الأسلحة.. وتمكينها علمياً ومالياً من صنع أكثرها إهلاكاً للحرث والنسل؟

لهذا كله فإننا ندعو من أعماق قلوبنا أنظمة الحكم في العالم الاسلامي إلى مراجعة الذات والبعد عن توفير شروط تفسح المجال للتدخلات الأجنبية.. وأن تحذر في ذات الوقت من السماح والتمكين للقوات الغربية بالوجود في أرض المسلمين.. لأن هذه القوات ستسهم في فرض المزيد من القيود والمزيد من التغريب.. ولن يملك الذين أذنوا لها في إقامة قواعد في بلادنا من أمر هذه القوات شيئا.

إنه ليؤسفنا أن الحاكمين في البلاد الاسلامية.. سواء كانوا ملوكاً أم رؤساء جمهوريات.. لا يجيدون التكلم بلغة الأصدقاء مع المسلمين.. فلا يقبلون منهم إلا التأييد لما يصنعون.. فإذا كان غير التأييد فسروا كلام الناصحين بأنه موقف معاد!.. ومع

ذلك، فإننا نناشدهم مرة بعد مرة أن يشركوا الشعوب بصورة حقيقية فعالة في بناء حاضرهم والتخطيط للمستقبل. . لأن التفاهم والاعتماد على الشعوب هو البديل عن العبودية والتبعية للقوى الخارجية.

● ونتوجه بنداء إلى العاملين للإسلام . . سواء كانوا جماعات أم أفراداً. . نناشدهم فيه أن يتعرفوا إلى واجباتهم في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها أمتنا. . وإلى تلمُّس الوسائل والأساليب الناجعة في معالجة مآسي الواقع القائم. . ونحذرهم من الانسياق وراء القراءة الجزئية لحوادث عصرهم لئلا يقعوا في أسر الفهم القاصر فيدفعهم إلى مواقف وتصرفات غير كريمة. . كما ندعوهم إلى البعد عن خوض معارك الأنظمة. . لأنها قطعاً ليست معركة الإسلام. .

ونطالب القيادات الإسلامية باللقاء مع بعضها للتشاور والتفكير المشترك في الكوارث التي تتهدد أمتنا الإسلامية سائلين الله عز وجل لهم التوفيق والسداد.

* * *

القضايا الاسلامية وحقوق الانسان

نقصد بـ «القضايا الإسلامية» جميع المسائل التي يعاني منها المسلمون في هذا العصر وتؤثر في إنسانيتهم، وهي كثيرة ومعقدة، وتـدخـل في كل شعبـة من شعب الحياة؛ فهي لا تنحصـر في المشكلات التي تفوح منها رائحة الدماء نتيجة لغزو الأرض وفرض أوضاع غير إنسانية بقوة السلاح كما هو الحال في فلسطين وارتيريا وكشمير لأن هذه المآسي وأضرابها تعبير ملموس عن المشكلات الكبرى الأساسية التي تشكو منها الأمة الإسلامية، وستبين الأمثلة المضروبة بعد المأساة..

أمـا مصـطلح «حقـوق الإنسـان» فإنـه ولد وترعرع في أرض الغرب. ولذا فإن أهل الغرب، وخاصة أصحاب القرار السياسي، يتعاملون معه من زاويتين:

الأولى: **زاوية التراث الديني والسياسي والتاريخي لأوروبا وأمريكا.**

فمراكز التفكير والتقرير السياسي والاجتماعي والأخلاقي القائمة في الغرب تصدر في كل ما تختاره وتقرره عن ثقافة متأثرة بالتراث الديني النصراني وبالصراعات السياسية وغيرها التي دارت رحاها في القارة الأوروبية وأمريكا.

الثانية: **زاوية المصالح**: فالعقلية الغربية المعاصرة تنضح بـ «النفعية» وهذا المرض يدفع الواقعين في أسره إلى التعامل «الميكافيلي» مع الآخرين.

وسنرى من خلال الأمثلة التي نذكرها أن مصطلح «حقوق الإنسان» البراق يطبق اليوم بالمعاني والمعايير والأخلاق التي أفرزتها حضارة الغرب، وأن في هذا ظلماً للإنسان واعتداءً على خصوصيات الأمم التي لا يشملها مصطلح «الغرب»!.

وإيماناً مني بأن ضرب الأمثلة أقرب طريق إلى توضيح الفكرة والتدليل على الرأي، فإني سأعرض إلى طائفة من المسائل التي تدلل على صحة ما ذهبت إليه، وسألتزم البساطة والإيجاز ما استطعت:

١ـ الحريــة

يؤكـد الإعـلان العالمي لحقوق الإنسان، وما سبقه وتلاه من إعـلانات ومباديء دخلت دساتير دول العالم، أن «الحرية» حق طبيعي ولا يجوز لأحد أن يمسه بسوء.

ويذكرون للحرية تطبيقات كثيرة أهمها:

١ـ حق الإنسان في اختيار الدين الذي يريد.

٢ـ حق الشعوب في اختيار نظامها السياسي.

آـ حق التدين:

تصـر إعلانات حقوق الإنسان على أن الإنسان يتمتع حر في اختيار الدين الذي يقتنع به ويرتضيه لنفسه، وتوضح بجلاء أنه لا يجوز الاعتداء على أحد بسبب العقيدة التي يؤمن بها.

فهل تتعامل دول الغرب مع المسلمين معترفة لهم بهذا الحق الذي تقرره دساتيرها، وتعلن أنها تلتزم به روحاً ونصاً من خلال المؤسسات الأممية؟.

إن الـــدول الغـربية تعتـرف للمسلمين بهـذا الحق إذا التـزم المسلمون بمعنى «الدين» عند الغربيين الذين استقر في عقولهم ونفوسهم أن كلمة « *Religion* » تعني : «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» أي : فصل الدين عن الدولة وشؤون الحياة، وحصر معناه في التصور الوجداني والشعائر التعبدية والجانب الأخلاقي . ومن هنا فإنهم ينكرون على المسلم تمسكه بدينه ويرمونه بالتطرف إذا قال : إن الإسلام نظام حياة كامل وشامل، وهو لا ينظر إلى الإنسان نظرة مجزأة، فالإنسان من وجهة النظر الإسلامية يشكل وحدة لا تنفصم عراهـــا، وهـذا يعني أن للإسـلام نظامـه السياسي والاقتصـادي والتـربوي والاجتماعي . . . الخ . والمسلم الحق هو الذي يلتزم بتعـاليم الإسـلام في جميع الشؤون ما استـطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ .

لهذا يجزع دهاة الغرب وسياسيوه من اليقظة الإسلامية لأنهم يعلمـــون أن هذه اليقـظة إذا سارت في طريق صحيح ستـدفـع الـمسلمين إلى رفض التغـــريب الـــذي فُرض عليهم في مرحلة تاريخية مكنت السياسيين الغربيين من زرع نظرة الغرب إلى الحياة

ومن فرض نظامه الحياتي في ربوع العالم الإسلامي. ومستغلو الشعوب المستضعفة يعلمون أن ما صنعوه بالمسلمين كان عبارة عن «قيود» تعوِّق نهضتهم، وتجعلهم في مقام التابع الذليل للجشع الغربي، ويعلمون أيضاً أن الفكرة الإسلامية الصافية إذا عادت إلى المسلمين، فإنها تسلك بهم طريق التحرر من سيطرة الدول الغربية وما تمارسه من صنوف الاستغلال والإذلال للإنسان المسلم.

لذلك يرمي ساسة الغرب دعاة الإسلام بـ «الأصولية» وهذا الإصطلاح مترجم عن الأصل اللاتيني *Fundament*، والذي يحمل ـ بفعل المؤثرات التاريخية في أوروبا ـ معاني التنفير من كل من يوصم به. ويتجاهل ساسة الغرب أن حملة رسالة الإسلام في هذا العصر ليسوا فئة تسمى «العلماء» كما جرت العادة في قرون التخلف والجهل، وإنما هم جميع فئات الأمة: الرجل والمرأة، والكبير والصغير، والطالب والعامل والفلاح والموظف والطبيب والمهندس وأساتذة الجامعات...

إن أصحاب القرار في الغرب يعلمون الحقيقة، ويدركون أن عودة المسلمين إلى الإسلام تقوى على الرغم من كل المعوقات

السياسية والاقتصادية والفكرية والسلوكية والاجتماعية التي يحاولون وضعها في طريق العالم الإسلامي لئلا يعود إلى دينه، وها هي الأصوات تنبعث من البلاد الإسلامية تخاطب الغرب بحقيقة ينبغي أن لا يتجاهلها سياسيوه؛ وهي:

■ ـ إما أن يتعامل الغرب مع المسلمين معاملة كريمة تنم عن احترام لحقوق الإنسان المسلم، وتحقق المصالح للجميع.

■ ـ وإلا فإن المواجهة الساخنة بما تحمله من آلام وخصومات، لن تهدأ حتى ينال العالم الإسلامي حريته بكل ما تحمل كلمة الحرية من معان.

ولا يفوتني، وأنا أتحدث عن حق الإنسان في «التدين»، أن أشير إلى الضيق الشديد الذي ظهر في تيارات حزبية وجهات حكومية في أوروبا تجاه المسلمين، وذلك حين رأت تلك الجهات أن مظاهر التدين الإسلامي بدأت تظهر في حياة أفراد من أبناء المسلمين الذين ترعرعوا في أوروبا، وأخذت جهات متعددة تتحدث عن رفضها للتطرف، وعن وجوب اندماج الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين في بنية المجتمعات الأوروبية إذا رغب هؤلاء

في البقاء، ويعنون بذلك كله: «التخلي عن المضمون الإسلامي»!!.

نخلص من هذا العرض إلى تقرير حقيقة مؤلمة. وهي: **إن الغرب ـ وهو اليوم مالك لزمام كثير من أمور البشر ـ يطبق ما يفهمه هو من «حق التدين» على جميع الأديان، فإن خالفه دين في تحديد مجالات التدين، وهو هنا: الإسلام، فإن الغرب ينكر على المسلمين ذلك، ويمارس ألواناً من الضغط والتشويه ضد المتدينين بقصد إخضاعهم والتنفير منهم.. وهذا ظلم ليس بعده ظلم.**

ب ـ حق الشعوب في اختيار نظامها السياسي:

تعترف جميع إعلانات حقوق الإنسان بحق حرية الشعوب في اختيار نظامها السياسي الذي تراه مناسباً لها، ويرفض ساسة أوروبا وأمريكا ـ عملياً ـ أن يمارس المسلمون هذا الحق، ودليلنا على هذه الحقيقة واضح؛ فالغرب يدعم في البلاد الإسلامية أنظمة الحكم الاستبدادية، سواء كانت جمهورية أم ملكية، ويقدم لها

جميع أنواع المساعدة والمساندة ما دامت تخدم أغراضه. ولا بأس في «ديمقراطية» توصل المتغربين فكراً ومنهج حياة إلى الحكم.. أما إذا كانت الديمقراطية سبيلاً إلى اختيار الشعوب الإسلامية للإسلام منهجاً لحياتها فإن الدنيا تقوم ولا تقعد!!.

لم هذا التناقض في الموقف الغربي؟!

لأن ساسة الغرب يريدون استمرار الأوضاع التي تكبل المسلمين وتمنعهم من النهوض والتقدم والمشاركة في صنع القرار، وهذا ضروري لكي تبقى البلاد الإسلامية مصدراً للمواد الخام يحصلون عليها بأبخس الأثمان.. وسوقاً لما تنتجه مصانع الغرب بحيث يبقى العالم الإسلامي منطقة استهلاك.

ويعلل الغرب موقفه الرافض للحكم الإسلامي بأن المتدينين إذا وصلوا إلى حكم بلد إسلامي فإنهم يمارسون حكماً «ثيوقراطياً» وهذا يؤدي إلى خنق الرأي الآخر باسم الإله!!. وهذه النظرة صادرة عن ثقافة الغرب وتاريخه الديني والسياسي.. أما الإسلام العظيم فإنه عرف كيف يتعامل مع الرأي الآخر وفق أسس تحفظ المجتمع من عوامل الفتنة والدمار، ولا تفرض على الآخرين نظرة الإسلام

إلى الخالق سبحانه وإلى الكون والحياة، والإسلام يقرر بوضوح:
﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾ (البقرة: ٢٥٦)

ثم إن تاريخ البلاد الإسلامية يقدم شهادة لا تُرد على صحة ما نقول.. فلولا القدرة الذاتية للإسلام على التفاعل مع الرأي الآخر لما وجدنا في بلاد المسلمين جماعات غير قليلة من اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى الذين يمارسون شعائرهم ويحتفظون بمعابدهم، ويقيمون حياتهم الخاصة وفق ما يرونه من تعاليم. وهذا ما تمارسه أنظمة الحكم الغربية. فما يصدر عن مؤسساتهم السياسية والدستورية والقضائية... إلخ. يُلزم به جميع المواطنين والمقيمين دون النظر إلى انتماءاتهم السياسية أو الدينية.. ويتركون للرأي الآخر هامشاً يرى فيه نفسه، ولا يسمح لأي إنسان بمخالفة الدستور أو الإجراءات الحكومية، وأوروبا لم تصل إلى هذا الذي نتحدث عنه إلا في عصور متأخرة.. على الرغم من المآخذ التي تسجل في مجال التطبيق.

إن سياسي الغرب يدركون القوة التحريرية التي تكمن في

الإسلام، ولذلك يحاربون عودة الأمة المسلمة إلى فهمه كما أنزله الله عز وجل، وإنهم لمخطئون . . فالإسلام رحمة وخير يعم المسلمين وغيرهم . . حين يحكم الحياة ويوجهها.

* * *

٢ـ حق الحياة

وهـذا الحق يتمثـل في تحـريم إيذاء الإنسان والاعتداء على روحـه، فهل تلتزم أمريكا والدول الأوروبية بهذا الحق الإنساني عندما يتعاملون مع المسلمين؟!.

إن الغرب بزعامة أمريكا يمارس أبشع ألوان التفريق العنصري في هذا المجال، ويظهر هذا جلياً في أمور:

■ إذا تعرض رجل غربي، أو من يهبه ساسة الغرب حق الاحترام!، لأي نوع من الأذى في نفسه أو ماله.. فإن الغرب يصم آذان الدنيا بكـاءً على الـدم المـراق والضحايا الأبرياء!!. ونحن المسلمين نرفض العـدوان على الإنسـان وامتهـان كرامـة روحه وجسده.. بصرف النظر عن جنسه أو دينه أو لونه. إلا أننا نفتقد صوت الغرب الحـزين حين تكون الضحية من المسلمين!!، ونحن هنا نقصر الحديث على المسلمين، وإن كانت الأمثلة تشمل سواهم ممن لا يعترف ساسة الغرب بحقهم في الحياة الكريمة!!.

■ وإذا قامت في بلاد المسلمين أوضاع تعارض أصحاب المصالح

في الغـرب . . فما أشرس هؤلاء الذين يستغلون ما أوجده ساسة الغرب من تناقض حدودي وفكري ومصلحي في بلاد المسلمين . . وإذ بهؤلاء السـاسـة . . دعـاة حقـوق الإنسان!! . . يهرعون إلى تحريك التناقضات، ويغرون طرفاً بطرف، ويدعمونه في مواجهة جاره . . سياسياً وسلاحاً . . وهذا يحقق لهم مصلحتين:

١ـ القضاء على المعارضين أو تقليم أظافرهم!

٢ـ وتشغيل مصانع السلاح وتطويرها في بلادهم . . وذلك ببيع ما تنتجه . . وبالقدر الذي تريد . . إلى أحد طرفي النزاع أو إلى الطرفين!! . والمثل القريب الواضح «الحرب الإيرانية العراقية»!!.

إن أرباب المصالح في الغرب ليعلمون علم اليقين أن ثمن ما يسعون إلى تحقيقه:

ـ أرواح بشرية دون حساب.

ـ وجراحات وتشويهات إنسانية واسعة.

ـ وتهديم لاقتصاد البلدان المتصارعة.

ـ وتخريب للبنيان والعمران.

ومستغلو الشعوب يُقْدمون على صنع ما ذكرناه وهم يدركون أن الشعوب المتصارعة ستدفع ثمن السلاح، وستلجأ إليهم بعد الحرب طلباً لإعادة ما دمرته بأسلحتهم.. وستدفع الشعوب المسحوقة ثمن إعادة البناء!!. والنتيجة أن مصانع أخرى في الغرب ستعمل وتبيع منتوجاتها في البلدان الجريحة!!. فأين أين كرامة الإنسان وحقوقه في قاموس قوى الظلام والاستغلال التي تتحرك في الخفاء. وتحرك مسرح السياسة في الاتجاه الذي تريد ـ فتفتك بالإنسان من أجل مآربها؟!!. ثم يأتي «سلاح الإعلام» ليتابع بوسائله المتطورة عملية العبث بالإنسان.. وإذ بقوى الباطل تمارس «قلب الحقائق»؛ فتجعل الجبان الرعديد بطلاً شجاعاً، وتُري بسحرها الناس أن الإنسان المسحوق معتد أثيم، وأن المعتدي الظالم ضحية يستحق العطف والشفقة.. كما هو الحال في مأساة العصر «فلسطين»!!.

وإننا معشر المسلمين موقنون بأن دماء المسلمين لا قيمة لها في حساب الساسة وأرباب المصالح الغربيين.. وأن هؤلاء مستعدون لإزهاق عشرات بل مئات الألوف من أرواح المسلمين على مذابح

جشعهم في الـوقت الـذي يحـرصون فيه على أرواح أبنائهم . . ولذلك فإنهم ـ في الأعم الغالب ـ يدفعون غيرهم لخوض المعارك نيابة عنهم بعد أن يدلسوا عليهم الأمورا ! .

* * *

٣ـ حق الشعوب في تقرير المصير

وهذا الحق يجب أن تتمتع به الشعوب التي كانت تعيش تحت سلطان الإستعمار الغربي أو التي تتعرض لعدوان خارجي . . ويعنون به أن لكل شعب كامل الحق في هوية محددة ووطن يعيش فيه . . فكيف تعامل الغرب المستعمر مع هذا الحق الذي يقر ويعترف أنه حق طبيعي؟ ! .

والجواب نعثر عليه في مأساة فلسطين المسلمة السليبة :

■ فالغرب هو الذي فكر وقدر؛ فزرع يهود في جسم أمتنا، وأمدهم بكل ما يحتاجون إليه، حتى جعل منهم أكبر قوة مدمرة في الشرق الإسلامي . . وفي المقابل ساهم الغرب في تحطيم أبناء فلسطين الذين شردهم في أنحاء الأرض وتحت كل كوكب . . وما زالت مخيمات اللاجئين في الأردن وسورية ولبنان وغزة شاهداً على هذه الجريمة النكراء التي اقترفها، وما يزال، الذين يبكون على حق الشعوب في تقرير المصير! ! . وهل يجهل مسلم أن أمريكا كانت أكثر صلافة من شركائها في الدفاع عن جرائم إسرائيل في المحافل

الدولية تحت عنوان حق اليهود في تقرير المصير!!.

■ أما الأنظمة العربية.. فقد أعلنت تخليها عن أهداف الأمة في فلسطين؛ اعترافاً منها بالعجز.. ورغبة في إيقاف نزيف الدم ونزيف الأرض.. ولكن أمريكا لم تقبل التنازلات!!.

■ وأعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن قبولها بوجود يهود في فلسطين.. واعترفت بقرارات مجلس الأمن الدولي وقرارات الأمم المتحدة.. وخاصة تلك التي تتعلق بتقسم فلسطين ـ القرار ١٨١ ـ وبحرب حزيران ـ يونيو ١٩٦٧ ـ القرار ٢٤٢ ـ، مقابل الاعتراف بالفلسطينين طرفاً في النزاع واعتبارهم شعباً من حقه تقرير مصيره بنفسه!!. وإلى تاريخ كتابة هذه السطور لم تتكرم أمريكا!! وتعترف بحق أبناء فلسطين في تقرير المصير بدلاً من فكرة «حل مشكلة اللاجئين»!!. فهل رأى الناس ظلماً أبشع وأفظع من هذا الظلم؟!!

إن أمريكا وشركاءها يتصرفون اليوم في مصائر ملايين المستضعفين، وقد تسحق قوة الغرب الباغية إرادة جيل، أو عدة أجيال، فيخيل إلى الساسة المغرورين بالقوة المادية أنهم قضوا

على إرادة الشعوب!!، والواقع يعطي الدليل القاطع على أن إرادة التحرر تتحرك من تحت الأنقاض، وتبرز في ظروف القهر واليأس.. مطالبة بحريتها ومكافحة من أجل كرامتها بعناد وإصرار.. والمثل نضربه بـ «انتفاضة شعب فلسطين».

ـ لقد سيطرت إسرائيل داخل الأرض المحتلة عام ١٩٦٧ على أبناء فلسطين المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزة.. وسامتهم أشنع صروف التنكيل والإهانة والإفقار.. وساهمت خارج حدود فلسطين في ضرب المقاومة مستفيدة من ظروف الاهتراء والتردي العربي الرسمي، ومن التصارع بين الأنظمة العربية في المنطقة.. ومستغلة مظلة أمريكا والغرب في المحافل الدولية..

ـ ونال التفسخ العربي الرسمي من المقاومة الفلسطينية.. فأعلنت أنها ستسير في خط الأنظمة العربية الخانعة.. في هذه الظروف البائسة اليائسة كانت انتفاضة الذين ولدوا وترعرعوا في ظل الاحتلال.. فكانت الانتفاضة رداً على أمور عبر عنها القائل:

هذي الحجارة يا أبي لغة لنا لما رأينا أننا لا نُنصفُ
لما رأينا أن حاخاماتهم يتلاعبون بنا فيرضى الأسقفُ
لما رأينا أن أمتنا على أرض الخلاف قطارها متوقفُ

إن الشعـــوب تدرك أن الحقـــوق تؤخـــذ عنـوة من يد الـظالمين المعتدين. . ولا يمكن أن تكون هبة منهم. فما في النار للظمآن ماء!!.

٤ـ حق التخلف!

وهـذا حق يعترف الغرب به للمسلمين!!، بل يتكرم ويفرضه عليهم فرضـاً، وإذا حاول فريق من أبنـاء المسلمين التخلي عن التمتع بهذا الحق قاومه الغرب بشدة.. وانتصر للغرب ناس من أبنـاء جلدتنـا يتكلمـون بألسنتنـا.. إلا أن قلوبهم قلوب الأعاجم!!.. وما أكثرهم على المستوى الرسمي!!.

إن الغـرب يمنع المسلمين من «العلم» الذي يساعدهم على التقـدم والتـطور الـذاتي، ويسمـح لهم باستهـلاك منتـوجاته.. ولتحقيق ذلك يتوسل ساسة في الغرب بما يندى له جبين البشرية.. من ذلـك أن ساسـة الغـرب يدعمون في بلاد المسلمين أوضاعاً سياسية فاسدة تعتمد على الولاء وتتكل بالكفاءة التي لا تسير في ركب الحكام الفاسدين.. والنتيجة هي وضع غير الأكفاء في مراكز التفكير والقرار في الأمة، وهذا أساس الفساد والتخلف والتردي!!.

* * *

نتائج

من خلال هذا العرض لعدد من قضايا المسلمين في ضوء الحديث عن «حقوق الإنسان» يتضح لنا معشر المسلمين عدد من الأمور:

١ـ إن أمتنا في هذا العصر. . الذي تشابكت فيه المصالح وتعقدت الروابط بين البشر. . تعاني من ظلم «الأقوياء» مادياً ومعنوياً. . وتشكو من محاولة سحق إرادتها. . وتهديم مناعتها. . بقصد إبقائها ضعيفة تتأثر ولا تؤثر. . وتقاد ولا تقود.

٢ـ وإن على الدعاة إلى الله عز وجل أن يولوا مسألة تحرير الإنسان المسلم داخل وطنه، وتحرير أمتنا في عالمنا وعصرنا. . اهتماماً كبيراً كبيراً. . إذا أرادوا أن يكونوا قادة رادة هداة للمسلمين إلى النجاة بالحق. ولن يستطيعوا القيام بهذا الدور إلا إذا كانوا على مستوى إسلامهم ومهمتهم في هذا العصر. . وهذا يعني ببساطة أن على دعاة الإسلام:

■ **أن يخرجوا من العموميات إلى التخصيص، ومن الارتجال إلى التخطيط، ومن النظرة الجزئية إلى الإسلام والواقع إلى النظرة الشمولية، ومن عدم القدرة على التمييز بين الأهم وبين المهم إلى ترتيب سلم الأوليات، ومن الارتباط العفوي بالدعوة إلى الارتباط المصيري بالإسلام.**

وحين تتوفر هذه الشروط في فئة صادقة فإنها تستطيع أن ترى واجباتها، وأن تحدد طريقة العمل لتحقيقها، وتبذل الغالي والنفيس عن علم طلباً لرضوان الله تعالى.

٣ـ وإن ظلم أصحاب المصالح والسياسيين من أهل الغرب لا يبيح لنا أن نواجههم وشعوبهم بالحقد والكراهية.. لأن المسلم صاحب رسالة تفرض عليه دفع ظلم الظالم مع تمني الهداية لمن يظلم نفسه والناس.. فمن توجيهات الإسلام العظيم في هذا المقام نذكر:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

وإن في الغرب اليوم كثرة من المنصفين الذين يكرهون من أعماق قلوبهم ظلم الإنسان للإنسان والعبث بكرامته ومصالحه.. ولكن سيطرة المستغلين على كثير من وسائل التأثير، بالإضافة إلى ضعف أصحاب الحق وسوء تصرفاتهم في كثير من الحالات.. كل ذلك يحجب الحقائق عن عيون أحرار الضمير المنصفين.. وينبغي أن يعرف أصحاب الحق كيف يحملون صوتهم ودعوتهم الخيرة إلى أحرار الغرب.. فهؤلاء يستطيعون أن يصنعوا أشياء كثيرة تسهم في تحرير الإنسان من أغلال الجشع الغربي والصلف الغربي.. إذا عرفوا الحقيقة وتحرروامن آثار التزوير والكذب وحجب الحقائق.

* * *

وبعد: فهذه المعاني التي ذكرناها تحتاج منا معشر المسلمين إلى فقه عملي واقعي إيجابي ينأى بنا عن السلبية في التعامل مع

الناس.. ويحفظ علينا أخلاقنا الإسلامية ونحن نجاهد الباطل والمبطلين متمسكين بمنهج سلفنا الصالح وفحواه: نحن نكره الكفر في الكافرين، ونجاهد الظلم في الظالمين، ونقاتل العدوان في المعتدين.. وفي ذات الوقت نحب أن يؤمن الكافر ويرتدع الظالم ويكف المعتدي عن عدوانه، فإن لم نفعل ذلك فإننا نكون عوناً لأعداء الإنسان في تضليل الناس عن رؤية حقائق الأمور.